

الإيمان باليوم الآخر

عناصر الخطبة:

أهمية الموضوع
معنى الإيمان باليوم الآخر
منزلته الإيمان باليوم الآخر
أقسام الناس في الإيمان باليوم الآخر.
صور ونماذج لمن آمن بهذا اليوم
ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

التفصيل

مقدمة: فالهدف من هذه السلسلة تذكير المسلمين ليستيقظوا من غفلتهم ورقدتهم الطويلة، ويرجعوا إلى ربهم بالتوبة والإنابة قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون.

قال الغزالي - رحمه الله -: فهناك أحوالٌ وأهوالٌ - يعني في الآخرة - لا بُدَّ لك - أيها المسلم - من معرفتها، ثمَّ الإيمان بها على سبيلِ الجُرمِ والتَّصديقِ، ثمَّ تطويلِ الفكرِ في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها. وأكثرُ الناسِ لم يدخلِ الإيمانُ باليومِ الآخرِ صميمَ قلوبهم ولم يتمكَّنْ من سُوَيْدَاءِ أَفئدتهم، ويدلُّ على ذلك شِدَّةُ تَشْمِرِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ لِحَرِّ الصَّيْفِ وَبَرْدِ الشِّتَاءِ وَتَهَاوُنِهِمْ بِحَرِّ جَهَنَّمَ وَزَمْهَرِيرِهَا مَعَ مَا تَكْتَفِيهِ مِنَ الْمَصَاعِبِ وَالْأَهْوَالِ، بَلْ إِذَا سُئِلُوا عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ ثُمَّ عَقَلَتْ عَنْهُ قُلُوبُهُمْ، وَمَنْ أُخْبِرَ بِأَنَّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ مَسْمُومٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ الَّذِي أَخْبَرَهُ صَدَقْتَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ لِتَنَاوُلِهِ كَانَ مُصَدِّقًا بِلِسَانِهِ وَمُكَذِّبًا بِعَمَلِهِ، وَتَكْذِيبُ الْعَمَلِ أْبْلَغُ مِنْ تَكْذِيبِ اللِّسَانِ. (١)

أهمية هذا الموضوع تتجلى فيما يلي:

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٥١١)

١- انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان وما صحب ذلك من مكر الليل والنهار بأساليب جديدة ودعايات خبيثة تزين الدنيا في أعين الناس وتصدهم عن الآخرة.

٢- ركون كثير من الناس للدنيا ولقد ترتب على ذلك أن قست القلوب، وتحجرت الأعين، وهُجِرَ كتاب الله عز وجل، وإذا قرأ أحدنا القرآن قرأه بقلب لاهٍ، فأنى لمثل ذلك القلب أن يخشع لذكر الله؟ وأنى لعينه أن تدمع خوفاً من الله، وقد انعكس ذلك على الصلاة فقلّ الخاشعون والمطمئنون فيها. والله المستعان.

٣- لما في تذكر قرب ذلك اليوم ومشاهده العظيمة من حثّ على العمل الصالح والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات، بل ما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواء الواجب منها والمسنون إلا بسبب الغفلة عن الآخرة والانشغال عنها.

٤- لما تميز به زماننا اليوم من كثرة المظالم في بعض المجتمعات واعتداء الناس بعضهم على بعض، من أكلٍ لأموال غيرهم بدون وجه حق، وكذلك النيل من الأعراض، والحسد والتباغض، والفرقة والاختلاف، ولا شك أنه لا شيء مثل تذكر اليوم الآخر وتذكر الوقوف بين يدي الله عز وجل علاجاً لتلك الأمراض.

٥- ولما كان الركون إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة من أعظم الأسباب في وهن النفوس وضعفها كان لا بد من التذكير المستمر بذلك اليوم وما فيه من نعيم أو جحيم، لأن في هذا التذكير أكبر الأثر في نشاط الهمم وعدم الاستسلام للوهن واليأس رجاء ثواب الله عز وجل وما أعده للطائعين والداعين إليه.

قال ابن القيم رحمه الله: فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَجْتَمِعُ التَّصَدِيقُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ بِالْمَعَادِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيَتَخَلَّفُ الْعَمَلُ؟ وَهَلْ فِي الطَّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ غَدًا إِلَى بَيْنِ يَدَيْ بَعْضِ الْمُلُوكِ

لِيُعَاقِبَهُ أَشَدَّ عُقُوبَتِهِ، أَوْ يُكْرِمَهُ أَتَمَّ كَرَامَةٍ، وَبَيَّيْتُ سَاهِيًا غَافِلًا لَا يَتَذَكَّرُ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ، وَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ، وَلَا يَأْخُذُ لَهُ أَهْبَتُهُ.

قِيلَ: هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ سُؤَالَ صَحِيحٍ وَارِدٌ عَلَى أَكْثَرِ هَذَا الْخَلْقِ، فَاجْتِمَاعُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ وَهَذَا التَّخَلُّفُ لَهُ عِدَّةُ أَسْبَابٍ أَحَدُهَا: ضَعْفُ الْعِلْمِ، وَنُقْصَانُ الْيَقِينِ. (٢)

ما معنى الإيمان باليوم الآخر؟

معناه التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة. وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزع وتفصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبه عن ربه عز وجل. (٣)

منزلة الإيمان باليوم الآخر من الدين:

١ - إن الإيمان باليوم الآخر أمر معلوم من الدين بالضرورة، وهو أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفة العبد بتفاصيله، ازداد إيمانه. فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، في حديث جبريل الطويل، وفيه أن جبريل عليه السلام سأل الحبيب المصطفى ﷺ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ

(٢) الداء والدواء (ص: ٣٧)

(٣) ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية (ص: ٥٥)

خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)). (٤) فلا إيمان إذا للشخص وإن قال أنه مؤمن بالله حتى يؤمن باليوم الآخر كإيمانه بالله تعالى، وإن المفرق بينهما لا حظ له من الإيمان وإن ادعاه.

٢- قرن الله جل وعلا الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في كثير من المواضع في القرآن

فقال تعالى {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى {ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق: ٢]

وقال تعالى: { وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } [النساء: ٣٩] وقال سبحانه { إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } [النساء: ٥٩] في مواضع كثيرة في كتاب الله جل وعلا.

٣- كذلك قرن النبي ﷺ الإيمان بالله بالإيمان باليوم الآخر في كثير من الأحاديث

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ)). (٥)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)). (٦)

(٤) رواه مسلم (٨)

(٥) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧)

(٦) رواه مسلم (٧٦)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)). (٧) وغيرها من الأحاديث

٤ - الإكثار من ذكره في القرآن الكريم وفي السنة النبوية:

فقلما تخلو سورة من سور القرآن عن التحدث عنه وتقريبه إلى الأذهان بشتى الأساليب، من إقامة للحجة والبرهان، أو من ضرب الأمثال، كالاستدلال بالنشأة الأولى، وكذا خلق السموات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها - على الإعادة، وما إلى ذلك من المسالك التي سلكها القرآن الكريم. . .

٥ - كثرة الأسماء التي جاءت لهذا اليوم في القرآن الكريم:

فقد وردت أسماء كثيرة لليوم الآخر في القرآن الكريم، وكلها تبين ما سيقع في هذا اليوم من أهوال. ومعلوم من أساليب العرب أنهم يكثرون الأسماء للشيء إذا كان ذا أهمية وشأن، وقد نزل القرآن بلغتهم.

أقسام الناس في باب الإيمان باليوم الآخر:

١ - قسم كذبوا بهذا اليوم بأقوالهم وأفعالهم:

وهؤلاء هم الكافرون والمنافقون والملحدون الذين ينكرون الغيب ولا يؤمنون إلا بما وافق أهوائهم وأبصرته أعينهم، قال تعالى عن هؤلاء { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } [التغابن: ٧]

وقال تعالى { وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ إِنَّنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلَقْنَا جَدِيدًا } [الإسراء: ٤٩]

(٧) رواه البخاري (١٠٨٨) و مسلم (١٣٣٩)

وقال تعالى عن هؤلاء المكذبين بالبعث { أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } [المؤمنون: ٣٥ - ٣٧]

لكن الله جل وعلا قرر هذه الحقيقة وأبطل زعم هؤلاء، فقال تعالى { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]

قال تعالى { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) } قال ابن القيم - رحمه الله -: وَإِذَا تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ حَالَهُ مِنْ مَبْدَأِ كَوْنِهِ نُطْفَةً إِلَىٰ حِينِ كَمَالِهِ وَاسْتَوَائِهِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَنْ عُنِيَ بِهِ هَذِهِ الْعِنَايَةَ، وَنَقَلَهُ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَصَرَّفَهُ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ، لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُهْمَلَهُ وَيُتْرَكَ سُدًى، لَا يَأْمُرُهُ وَلَا يَنْهَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ بِحُقُوقِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يُشْبِهُهُ وَلَا يُعَاقِبُهُ. (٨)

٢ - قسم صدقوا بألسنتهم وكذبوا بأفعالهم، ونسوا لقاء الله تعالى

وهؤلاء الصنف علموا وأقروا أنه لا بد من لقاء الله تعالى ثم الحساب بين يديه ولكنهم غفلوا عن هذه الحقيقة وشغلتهم الدنيا وهمومها عن الآخرة وأهوالها، قال تعالى { أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) } [المطففين: ٤ - ٦]

قال تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ } [الأنبياء: ١ - ٣]

(٨) الداء والدواء (ص: ٣٧)

قال الطبري - رحمه الله -: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: دَنَا حِسَابُ النَّاسِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَنِعْمِهِمُ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ فِيهَا، فِي أَبْدَانِهِمْ، وَأَجْسَامِهِمْ، وَمَطَاعِمِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، وَمَلَابِسِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ، وَمَسْأَلَتُهُ إِيَّاهُمْ مَاذَا عَمِلُوا فِيهَا، وَهَلْ أَطَاعُوهُ فِيهَا، فَانْتَهَوْا إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي جَمِيعِهَا، أَمْ عَصَوْهُ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ فِيهَا؟ { وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ } [الأنبياء: ١] يَقُولُ: وَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَمَّا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَنْ دُنُوِّ مُحَاسَبَتِهِ إِيَّاهُمْ مِنْهُمْ، وَاقْتِرَابِهِ هُمْ فِي سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، وَقَدْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ، فَتَرَكُوا الْفِكْرَ فِيهِ، وَالِاسْتِعْدَادَ لَهُ وَالتَّأَهُبَ، جَهْلًا مِنْهُمْ بِمَا هُمْ لِأَقْوَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ، وَشَدِيدِ الْأَهْوَالِ. (٩)

قال ابن كثير - رحمه الله -: هَذَا تَنْبِيهُ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَدُنُوِّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا، أَي: لَا يَعْمَلُونَ لَهَا، وَلَا يَسْتَعِدُّونَ مِنْ أَجْلِهَا. (١٠)

لذلك حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الغفلة عن لقائه وأمرهم أن يستعدوا ويتجهزوا لذلك فقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) } [الحشر: ١٨ -

[٢٠

(٩) تفسير الطبري (١٦ / ٢٢١)

(١٠) تفسير ابن كثير (٥ / ٣٣١)

فالجزء أن الله تعالى ينسأهم يوم القيامة كما نسوا هذا اليوم وتغافلوا عنه.

قال تعالى { وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَأكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤) } ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُورًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ (٣٥) } [الجاثية: ٣٤، ٣٥]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ قال ((يلقى الله العبد، فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسحر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أظننت أنك ملاقِي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنسأك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسحر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع، فيقول: بلى، أي رب فيقول: أظننت أنك ملاقِي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنسأك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب أمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدق، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفيخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتتطق فخذ له ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنفق وذلك الذي يسخط الله عليه)). (١١)

بل إن هذا الصنف من الناس يحشرون يوم القيامة عمياً يتخبطون في عرصات القيامة، قال تعالى { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) } قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) } قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى } [طه: ١٢٤ - ١٢٦]

٣ - قسم آمنوا بهذا اليوم واستعدوا له وعملوا له ألف حساب:

قال الله تعالى في صفات عباده المؤمنين الموحدین المصلين { وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) } [المعارج: ٢٦ - ٢٨]

فلما استقر الإيمان باليوم الآخر في قلوبهم، وتفكروا في أحواله وأهواله وجلت قلوبهم وارتعدت، فحملهم ذلك على المسارعة إلى الخيرات، قال تعالى عنهم { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ } [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]

ولما استقر الإيمان باليوم الآخر في قلوبهم، لم تشغلهم التجارات ولا المصالح الدنيوية عن العمل لهذا اليوم، قال تعالى { فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [النور: ٣٦ - ٣٨]

ولما علموا أن الله تعالى مطلع على نياتهم، وأنهم موقوفون بين يديه سبحانه في هذا اليوم أخلصوا العمل له، قال تعالى { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا } [الإنسان: ٧ - ١٢]

صور للسابقين والمقربين في خوفهم واستعدادهم ليوم الدين هذا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام يخشى الحزى يوم القيامة فقال كما نقل عنه القرآن { وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]

وهذا محمد بن عبد الله ﷺ أحب الخلق إلى الله تعالى ومع ذلك يخشى لقاء الله

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطُّوا رُءُوسَهُمْ وَهَمُّ حَيْنٍ. (١٢)

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبَلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((رَبِّ فَنِي عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ)). (١٣)

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ فَنِي عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ، عِبَادَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ)). (١٤)

أحوال الصحابة والسلف وذكر خوفهم من لقاء الله تعالى
قال ابن القيم - رحمه الله -: مَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَجَدَهُمْ فِي غَايَةِ الْعَمَلِ مَعَ غَايَةِ الْخَوْفِ، وَنَحْنُ جَمِيعًا بَيْنَ التَّقْصِيرِ، بَلِ التَّفْرِيطِ وَالْأَمْنِ.

(١٢) رواه مسلم (٢٣٥٩)

(١٣) رواه مسلم (٧٠٩)

(١٤) رواه أبو داود (٥٠٤٥)

فَهَذَا الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه- وَكَانَ يَبْكِي كَثِيرًا، وَيَقُولُ: ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَبَاكُوا. وَلَمَّا احْتَضَرَ، قَالَ لِعَائِشَةَ: يَا بِنْتِي، إِنِّي أَصَبْتُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْعِبَاءُ وَهَذِهِ الْحِلَابُ وَهَذَا الْعَبْدُ، فَأَسْرِعِي بِهِ إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ تُؤْكَلُ وَتُعْصَدُ.

وَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه-: قَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ إِلَى أَنْ بَلَغَ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} فَبَكَى وَاشْتَدَّ بَكَاءُهُ حَتَّى مَرَضَ وَعَادُوهُ. وَقَالَ لِابْنِهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ: وَيْحَكَ ضَعَّ خَدِّي عَلَى الْأَرْضِ عَسَاهُ أَنْ يَرْحَمَنِي، ثُمَّ قَالَ: وَيْلَ أُمِّي، إِنْ لَمْ يَعْفِرْ لِي (ثَلَاثًا)، ثُمَّ قُضِيَ.

وَكَانَ يَمُرُّ بِالْآيَةِ فِي وَرْدِهِ بِاللَّيْلِ فَتُخِيفُهُ، فَيَبْتِمِي فِي الْبَيْتِ أَيَّامًا يُعَادُ، يَحْسَبُونَهُ مَرِيضًا، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ -رضي الله عنه- خَطَّانٌ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبُكَاءِ.

وَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، مَصَّرَ اللَّهُ بِكَ الْأَمْصَارَ، وَفَتَحَ بِكَ الْفُتُوحَ، وَفَعَلَ، فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي أَنْجُو لَا أَجْرَ وَلَا وَرَرَ.

وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ -رضي الله عنه- كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى تَبَلَّ لِحْيَتُهُ، وَقَالَ: لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا أَدْرِي إِلَى أَيَّتَهُمَا يُؤْمَرُ بِي، لَا اخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتَهُمَا أَصِيرُ.

وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه- وَبُكَاءُهُ وَخَوْفُهُ، وَكَانَ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ مِنْ اثْنَتَيْنِ: طُولِ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، قَالَ: فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةَ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَسْفَلَ عَيْنَيْهِ مِثْلَ الشَّرَاكِ الْبَالِي مِنَ الدَّمْعِ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ -رضي الله عنه- يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْصَدُ، وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُخْلَقْ.

وَقَرَأْتِمُ الدَّارِيَّ - رضي الله عنه - لَيْلَةَ سُورَةِ الْجَانِّيَةِ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} جَعَلَ يَرُدُّهَا وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ. (١٥)

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: لو وقفتُ بين الجنة والنار، فقل لي: اختر نُخَيْرُكَ من أيهما تكونُ أحبُّ إليك، أو تكونُ رماداً؟ لأحببتُ أن أكونَ رماداً!. (١٦)

وكان مالك بن دينار - رحمه الله -، يظل طول ليله قابضاً على لحيته ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين دار مالك بن دينار؟!.

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١- الرغبة في فعل الطاعات، والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم.

يقول الإمام ابن القيم: وَمَا يَنْبَغِي أَنْ مَنْ رَجَا شَيْئًا اسْتَلْزَمَ رَجَاؤُهُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ مَا يَرْجُوهُ. الثَّانِي: خَوْفُهُ مِنْ فَوَاتِهِ. الثَّلَاثُ: سَعْيُهُ فِي تَحْصِيلِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ. وَأَمَّا رَجَاءُ لَا يُقَارِنُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْأَمَانِيِّ، وَالرَّجَاءُ شَيْءٌ وَالْأَمَانِيُّ شَيْءٌ آخَرُ، فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَالسَّائِرُ عَلَى الطَّرِيقِ إِذَا خَافَ أَسْرَعَ السَّيْرَ مَخَافَةَ الْفَوَاتِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمُنْزَلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ)). (١٧)

(١٥) الداء والدواء (ص: ٤١)

(١٦) المعجم الكبير للطبراني (٧/٤٩٩)، حلية الأولياء (١/١٣٣)

(١٧) الداء والدواء (ص: ٣٩)

٢- الرهبة من فعل المعاصي، والحذر من الرضى بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

قال السعدي -رحمه الله-: معرفة ذلك اليوم حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بها أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر. (١٨)

مَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَعْرُورُ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ

قَدْ كَوَّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَضْعَفَتْ... حَرًّا عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ تَفُورُ

وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأَصُولِهَا... فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ

وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاطَرَتْ... وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ

وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا... خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ

وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَى الْقِيَامَةِ أَحْضَرَتْ... وَتَقُولُ لِلْأَمْلاكِ أَيْنَ نَسِيرُ

فَيَقَالُ سِيرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحًا... وَعَجَائِبًا قَدْ أَحْضَرَتْ وَأُمُورُ

وَإِذَا الْجِنُّ بِأُمَّهٍ مُتَعَلِّقٌ... خَوْفَ الْحِسَابِ وَقَلْبُهُ مَدْعُورُ

هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ... كَيْفَ الْمُقِيمِ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ

٣- تسلية المؤمن عما يفوته من متاع الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

فالدنيا بأموالها وأملاكها وأرضها وامتعتها وزهرتها ما هي إلا قطرات في الآخرة، فعن المستورد بن شداد -رضي الله عنه-، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ

إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟)). (١٩)

(١٨) تفسير السعدي (ص: ٣٧)

(١٩) رواه مسلم (٢٨٥٨)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّهَا مَتَلِي وَمَتَلُ الدُّنْيَا كَمَتَلِ رَاكِبٍ، قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)). (٢٠)

٤- إذا استقر الإيمان باليوم الآخر في قلب العبد زاد صبره على الأذى والمصائب.

فمن أعظم الأسباب التي تعين العبد على الصبر عند نزول المصائب في الدنيا علمه وتيقنه بلقاء الله تعالى وإيمانه باليوم الآخر، لأنه يعلم يقيناً أنه سيجازي في هذا اليوم على كل صغيرة وكبيرة تصدر منه في الدنيا لذلك التزم الصبر. قال تعالى {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

- من كانت الآخرة همه كفاه الله هموم الدنيا

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ)). (٢١)

- الإيمان بقرب يوم القيامة سبب في قصر الأمل ومن ثم الانشغال بالعمل

قال القرطبي -رحمه الله-: وَمَنْ عَلِمَ اقْتِرَابَ السَّاعَةِ قَصَرَ أَمَلُهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِالتَّوْبَةِ، وَلَمْ يَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا، فَكَأَنَّ مَا كَانَ لَمْ يَكُنْ إِذَا ذَهَبَ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، وَالْمَوْتُ لَا مَحَالَةَ آتٍ، وَمَوْتُ كُلِّ إِنْسَانٍ قِيَامُ سَاعَتِهِ، وَالْقِيَامَةُ أَيْضًا قَرِيبَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، فَمَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَقَلُّ مِمَّا مَضَى. (٢٢)

(٢٠) رواه أحمد (١ / ٤٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ / ٩٨٩)

(٢١) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ / ١١١٠)

(٢٢) تفسير القرطبي (١١ / ٢٦٧)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: ((إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)). (٢٣)

والحمد لله رب العالمين